في ارض الجليل

من دمشق ركبنا قطار السكة الحجازية قاصدين الى بلاد الجليل فاجتزنا سهول حوران وحرمون من وادي الاردن [illegible] بلاد الجليل التي مررنا بها تبعث النفس الى النظر بالعين الى التفصيل والفكر الى التأمل بما جرى فيها من الوقائع والحوادث في سالف الاعصار

وان ارضاً اخرجت رسولاً كالسيد المسيح عليه الصلاة والسلام فكانت مهوى افئدة الى النصرانية في العالم على اختلاف الاعصار والاقطار لحرية بان تزار معاهدها مهما شطت بقاصدها الديار [illegible] وهي الآن [illegible] بضع ساعات في قطار الحديد · وان بلاداً معنى على [illegible] اسرائيل اكثر من [illegible] السنين ولم ييأسوا من استرجاعها لجديرة ان يحج اليها كل من يروم البحث في اجتماع الامم وتقاليدها

يحد بلاد الجليل شرقاً الاردن (١) وجنوباً الكرمل وحقل ابن عامر (٢) غرباً بحر الروم وشمالا فينيقية وابل [illegible] وتسمى هذه البلاد جليل الامم لكثرة الامم فيها وفي الجليل تربى يسوع وفيها صرف اكثر مدة حداثته جهراً فدعي جليلياً وكان تلاميذه جليليين ما عدا يهوذا الاسخريوطي واشتهر الجليليون بشدة البأس فقال يوسيفوس المؤرخ اليهودي الذي كان هو نفسه جليلياً انهم كانوا يتمرنون على احتمال كل انواع المشقة منذ الصغر · وقد اشتهروا بشدة مقاومتهم للرومانيين والى خراب اورشليم [illegible] الجليل فاصبحت دار العلوم اليهودية ونزل اليها السنهدريم مجمع الامة العظيم فحل اولاً في اوشته وهي الآن خربة [illegible] قرب شفا عمرو ثم انتقل الى شفرعم وهي الآن شفا عمرو ثم الى بيت شعرايم وصفوري وطبرية وكانت الجليل مقسومة الى قسمين الجليل السفلي وطولها من طبرية الى زبولون قرب عكا وعرضها من قرية كسالوت قرب تابور الى بيرسبع (غير بيرسبع في الجنوب) وكان فيها على رواية يوسيفوس ٢٠٤ قرية وفي اصغرها ١٥٠٠٠ من السكان والجليل الاعلى طولها من بيلون غرباً الى طلة قرب الاردن شرقاً وعرضها من بير سبع جنوباً الى بقعة في حدود ارض صور شمالاً

ومعنى الجليل بالعبرانية الدائرة او المنطقة وكانت تطلق خاصة على القطر الشمالي

---

(١) مرشد الطلاب الى جغرافية الكتاب للقس اسعد منصور

(٢) دليل الارض المقدسة [illegible]

P. Barnabé Meistermann. Nouveau Guide de Terre Sainte 1907

من أرض الموعد وفيها عشرون مدينة أعطاها سليمان لحيرام ملك صور لقاء خدمته في عمارة المعبد في القدس وكان يسكن هذه البلاد جمهور من الوثنيين ومن هنا اشتق اسمها جليل الأمم. وكانت بلاد الجليل تمتد في عهد المسيح الى أطراف بحيرة طبرية ثم دخل فيها سهل يزرعيل (مرج ابن عامر) والى عهد الصليبيين المسيحيين كانت عبارة عن أرض [illegible] ونفتالي وزبولون [illegible] وظلت منقسمة الى جليل أعلى وجليل أسفل الأول يمتد الى شمالي الخط الممتد من عكا الى كفرناحوم والثاني يدخل فيه القسم الجنوبي

ويمكن في الجملة أن يقال ان أرض الجليل هي اليوم في الجهة الشمالية من بلاد فلسطين بين وادي عكا ونابلس وفي الجهة الغربية من نهر الأردن ويدخل فيها قضاء صفد وقضاء طبرية وقضاء الناصرة وبعض قضاء حيفا ومن أهم أقاليمها مرج ابن عامر وكانت أهم مدن الجليل بطلومايس التي أصبحت فيما بعد عكا وصفورية والناصرة وكفركنة و[illegible] وكفرناحوم ويسكن الجليل الآن مزيج من أمم مختلفة وأهم عناصرهم اليهود والأسوريون وكان هذا الإقليم في عهد العصور النصرانية عامراً [illegible] مزهراً وله حياة سياسية كما له حياة دينية وحجيج [illegible] ومذاهب تجري فيه حرية مطلقة لا ينازعها بعض فيما أمرها وتكاثرت فيه الغلات والزهور من كل نوع وفيه غابات كثيرة كان يستخرج منها خشب السفن

وعرف العرب أرض الجليل بجبل الجليل قال ياقوت: جبل الجليل في ساحل الشام ممتد الى قرب حمص كان معاوية يحبس في موضع منه من يظفر به ممن ينبز بقتل عثمان وقال ابن الفقيه وكان مقام نوح عليه السلام في جبل الجليل بالقرب من حمص في قرية تدعى سحر ويقال ان بها قبر نوح وقال وجبل الجليل بالقرب من دمشق أيضاً وهو جبل يقبل من الحجاز فما كان بفلسطين منه فهو جبل الحمل وما كان بالأردن فهو جبل الجليل وهو بدمشق لبنان وبحمص سنير. وهذا التعريف أقرب الى [illegible] من غيره. وقال ابن عساكر ان جبل الجليل من أعمال صيدا وبيروت من ساحل دمشق وهو تعريف حسن في الجملة قال أبو قيس بن الأسلت

فلولا ربنا كنا يهوداً ... وما دين اليهود بذي شكول
ولولا ربنا كنا نصارى ... مع الرهبان في جبل الجليل
ولكنا خلقنا إذ خلقنا ... حنيفاً ديننا عن كل جيل

وانظر معجم لاروس الجديد Nouveau Larousse illustré

قلنا ان ارض الجليل كانت معترك الامم والاديان من قديم الزمان ولقد جاء عليها عهد ايام الرومان كثرت فيه الاديار والبيع والمعابد منبثة في كل بقعة من بقاعه وقرية من قراه ولما فتحها المسلمون عاملوا اهلها بالرفق واقروهم على عاداتهم وشأنهم في شرائعهم ولكن دالت الدول وكرت الاعصار وجيشت ملوك اوربا على الشرق جيوشها في القرون الوسطى وكانت الحروب الصليبية سجالا بين المسلمين والصليبيين في هذه الارض مدة قرنين فلا عجب اذا شهدنا اسوار المدن مهدمة وآثار البيع والاديار معفاة دائرة واشجار ذلك الصقع وغاباته مدمرة وكثيرا من هذه قرى صغيرة او مزارع بائرة

خربت هذه الديار بادوار اتت عليها كان القول الفصل في سياسة حكومات الارض لرجال الدين وكان اهل الخطاب من امم اوربا كلما ارادوا ان يريحوا ارواحهم ويتخلوا عن هذه الارض يحفز روحهم حافز من المشورة والسياسة ومن لف لفهم من حملة الدين فيلقون بانفسهم في مآزق صعبة ويركبون الى نيل اوطارهم كل ذلول وصعبة فتردهم جيوش المسلمين عن استباحة حمى الاسلام لان فلسطين او سورية اذا ملكها الافرنج يضيع الاسلام المسجد الاقصى ويوشك ان يكون الخطر محدقا بالحرمين الشريفين مبعث الوحي والرسالة ومحج اهل الاسلام من العالمين ولذلك هاجم الصليبيون هذه الديار بجائق الدين ودافع عنها المسلمون بجائق الدنيا والدين فكتبت الغلبة لاهل هذه البلاد وقلما ظفر مهاجم ورجع الدخلاء عنها مدحورين ولكن بعد ان خرب العامر والغامر واصبحت قفراء جرداء لاتجد فيها خضراء ولا غبراء .

ولقد كانت طبرية عاصمة الجليل وهي اشهر مذكور من مدن تلك الارباض أسست عام ١٧ للمسيح على يد هيرودس انتيباس حاكم الجليل الذي جعلها عاصمته وسماها بالاسم الذي عرفت به الى اليوم اكراما لحاميه الامبراطور طيباريوس الروماني وكانت المدينة جنوبي موقع المدينة الحالية ولا اي حوالي الحمامات المعدنية ويسمى اليوم ذلك المكان بخربة الحمام وذلك لانه اكتشف مدفن مقبور في مكان المدينة القديمة فأبى اليهود ان يسكنوها لان خرق حرمة المدافن يعد عندهم من الكبائر ولم يستطع هيرودس ان يسكن طبرية لاول انشائها الا اناسا من طغمة واتباعه اغراهم بانواع الاحسان والمدقق عليهم الاعطيات ترغيبا لهم ولما توفي ملكها بعد الامبراطور نيرون الى اغريبا الثاني بالولاية عليها سنة ٤١ فلم يكن منه الا ان الحط طبرية عن مكانتها واختار صفورية لتكون عاصمة الجليل

ولما انتقض اليهود على الرومانيين عهد الى المؤرخ يوسيفوس ان يكون واليا على

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

---

(١) معجم البلدان

(٢) دليل الارض المقدسة

الافرنج واحاطت هذه المدينة بالاضطهاد حتى ان الرحالة كان ... لما زارها سنة ١٦٢٠ لم يرَ فيها احداً من اليهود ووجد سكانها كلهم من المسلمين

وحكم طبرية ظاهر العمر حاكم عكا وهو الذي بنى سورها الحالي سنة ١٧٣٨ وجدده ابراهيم باشا المصري سنة ١٨٣٣ ولكن اصيبت بعد اربع سنين من هذا التاريخ بزلزال مريع ... [illegible] ... وقتل سكانها المسلمون واليهود من جراء الزلزال وهم اليوم اكثر من ثلاثة ارباع سكانها لا يقلون عن سبعة آلاف ... [illegible] ... وغيرهم

واهم ما في طبرية حماماتها ... [illegible] ... حمامات كثيرة التي يقال انها من عجائب ... [illegible] ... الحمة المعروفة اليوم ... [illegible] ... من الجانب ... الموضع من الجبل ... [illegible] ... الحامة ... [illegible] ... من الاثني عشرة ... [illegible] ... رضي الله عنه ... [illegible] ... الا القريبا

فنا والى ... [illegible] ... طبرية وهو من عجائب الدنيا ... [illegible] ... في الوادي ... على طريق ... [illegible] ... ٨٣ ... [illegible] ... ماء حارة ... [illegible] ... حمة ... [illegible] ... سليمان بن داود عليه السلام ... [illegible]

وهذه الحمة الاخيرة التي ... سليمان ... [illegible] ... وهي احدى الحمامات ... [illegible] ... الى الحمامات من ... [illegible] ... وهو عبارة عن حوض ... [illegible] ... بثقوب ... [illegible] ... ٦٢ ... [illegible]

---

(٢) المقدسي ص ... [illegible]

براق في الجلد ملح الطعم مر ممزوج وتنبعث منه رائحة شديدة من حامض الكبريت او رائحة بيض فاسد . وهذه الحمامات ملك الحكومة تؤجرها لمن تزيد ثمنه المعايرة في السنة وفيها مغاطس في مكان آخر قد يقيم صاحب الفلح مياهها في الاحايين ولكنها كسائر اقسام الحمامات الاوربية غير صحية لانه يغطس فيها كثيرون من ارباب الامراض المختلفة ينزلونها في وقت واحد ويخشى ان تسري جراثيم بعض الامراض الى جسم من كان منها سليما فيحسن بالبادر في هذا الباب من حيث يريد الربح ان ترتب هذه الحمامات ترتيبا صحيحا كما هو الحال في حمامات البلاد في اوربا وبروصة في الاناضول وحلوان في مصر وأنشئت هناك كما هو رأي بعض المفكرين في تزيين هذه البلاد اللائقة بخصائصها الطبيعية فنادق وحدائق واماكن تتوفر فيها شروط الراحة ومرافق الحياة للمستحمين في هذه الحمة من قطار الارض كما تجلب حمامات بروصة وحلوان ومارينباد وباد

وموسم الاستحمام بهذه الحمامات من اول كانون الثاني الى آخر حزيران[1] وتختلف الحرارة في الصيف في طبرية من ٣٥° الى ٤٢° ولكن الهواء حسن في الجملة فلا يؤثر في سكانها الاصليين كثيرا نقص تأثيره في الغرباء ولا شك صدق ما قاله فيها ابو عبد الله ابن البناء المقدسي : طبرية قصبة الاردن وبلد وادي كنعان موضوعة بين الجبل والبحيرة فهي ضيقة كربة في الصيف وخمة وبية وطولها نحو من فرسخ بلا عرض وسوقها من الدرب الى الدرب والمقابر على الجبل بها ثمان حمامات بلا وقيد حارة الماء والجامع في السوق كبير حسن وارضه مرصوف بالحصى على اساطين حجارة موصولة ويقال ان اهل طبرية شهرين يرقصون من كثرة البراغيث وشهرين يلوكون يعني النبق الذي له كثير عندهم وشهرين يخبطون يعني بايديهم العصي والمذبات الزنابير عن طعومهم وحلاواتهم وشهرين عراة يعني من شدة الحر وشهرين يزمرون يعني يمصون قصب السكر وشهرين يتخوضون من كثرة الوحل في ارضهم قال واسفل طبرية جسر عظيم عليه طريق دمشق وشربهم من البحيرة وحول البحيرة كلها قرى متصلة ونخيل وفيها سفن كثيرة وكم كثيرة [illegible] اهلها والجبل مطل على البلد وماؤها عذب ليس بحلو .

ويرى الاطباء العصريون مياه طبرية الحارة تنفع النساء في وظائفهن التناسلية وتشفي كل الشفاء من الاوجاع العصبية الحادة والمزمنة ومن امراض الرثية «الروماتيزم» ومن ضعف المجموع العصبي ومن داء النقرس ومن البول السكري ومن المرة السوداء

---

(١) تقويم سالنامة ولاية بيروت الرسمي لسنة ١٣٢٦هـ .

« لا يستعملونها » ومن امراض [illegible] ومن الادواء [illegible] التي [illegible] في حال الوقوف كما قد تقع في اصحاب [illegible] الرئة » وثبتت فائدتها في بعض امراض الأعصاب والمعدة المزمنة والامراض الجلدية وضعف [illegible] في الرحم والبول الزلالي والنقرس الرثوي وغيرها

[illegible] بحيرة طبرية [illegible] الحوض الثاني الذي [illegible] نهر الاردن في مجراه [illegible] الى بحيرة لوط وسطحها [illegible] امتار تحت سطح البحر المتوسط وعمق البحيرة [illegible] في وسطها [illegible] في الجهة [illegible] من البحيرة [illegible] الى [illegible] في البحيرة ساعة [illegible] ساعة ونصف

وطول البحيرة ٢١ كيلومترا من الشمال الى الجنوب وعرضها [illegible] كيلومترات ونصف [illegible] مساحتها [illegible] كيلومترا مربعا [illegible] في الفصول الاربعة وفيها كثير من السمك [illegible] التي تحيط بالبحيرة في الجنوب الغربي [illegible] الشمال الغربي [illegible] Genezareth الخصيب [illegible] وفي الشمال من البحيرة سهل [illegible] Elhuleh يجري فيه الاردن [illegible] بحيرة الحولة او مياه ميروم Eaux de Merom [illegible] البحيرة من الشرق والجنوب الشرقي [illegible] Gaulanitide [illegible] الاردن [illegible] Méandres [illegible]

وكان اسم هذه البحيرة في القديم كنرت اشارة الى شكلها [illegible] الذي يشبه العود الطرب [illegible] بالعبرانية كنور [illegible] هذا الشكل [illegible] في جميع البحيرات التي يحيط بها [illegible] وكانت كنرت مدينة [illegible] من مدن الكنعانيين وبعد [illegible] البحيرة بحيرة [illegible] من اسم السهل الخصيب الذي [illegible] الى شاطئها من الشمال الغربي وسميت في العهد الجديد بحيرة الجليل و بحيرة طبرية وهذا الاسم هو الذي [illegible] العرب

ولم يخل هذا البلد في حواليه من رجال في الاسلام ولدوا ونشأوا وكانت لهم

رد في خدمة المسلمين مثل الامام الحافظ سليمان بن احمد بن ايوب بن مطير ابي القاسم الطبراني « احد الائمة المعروفين والحفاظ المكثرين والطلاب الرحالين الجوالين ومشايخ المعمرين الصدقين المحدثين والثقات الاثبات العدلين » وغيرهم ممن بقي الدهر والخلف يتناقل عن السلف اعمالهم

وكان الاردن على عهد الفتح الاسلامي احد اجناد الشام الخمسة (١) وهي كورة واسعة منها الغور وطبرية وصور وعكا وما بين ذلك قال احمد بن الطيب السرخسي الفيلسوف هما اردنان اردن الكبير واردن الصغير اما الكبير فهو نهر يصب الى بحيرة طبرية وبينه وبين طبرية للمعبر البحيرة في زورق اثنا عشر ميلا تجتمع فيه المياه من جبال وعيون فتجري في هذا النهر فتسقي اكثر ضياع جند الاردن مما يلي ساحل الشام وطريق صور ثم تنصب تلك المياه الى البحيرة التي عند طبرية وطبرية في طرف جبل يشرف على هذه البحيرة فهذا النهر هو الاردن الكبير بينه وبين طبرية البحيرة واما الاردن الصغير فهو نهر يأخذ من بحيرة طبرية ويمر نحو الجنوب في وسط الغور فيسقي ضياع الغور واكثر مستغلهم السكر ومنه يحمل الى سائر بلاد المشرق وعليه قرى كثيرة منها بيسان وقراوا واريحا والعوجاء وغير ذلك وعلى هذا النهر قرب طبرية قنطرة عظيمة ذات طاقات كثيرة تزيد على العشرين ويجتمع هذا النهر ونهر اليرموك فيصيران نهراً واحداً فيسقي ضياع الغور وضياع البثنية ثم يمر حتى يصب في البحيرة المنتنة في طرف الغور الغربي وللاردن عدة كور منها كورة طبرية وكورة بيسان وكورة بيت رأس وكورة جدر وكورة صفورية وكورة صور وكورة عكا وغير ذلك . وقد فتح طبرية بالاتفاق عمرو بن العاص كما [illegible] فتحها [illegible] صلح شرحبيل وكذلك جميع مدن الاردن وحصونها ففتح بيسان وافيق وجرش وبيت رأس وقدس والجولان وعكا وصور وصفورية وغلب على سواد الاردن وجميع ارضها .

في وادي الاردن بين قرية لوبية وطبرية في سهل قرية حطين وقعت الوقعة الهائلة بين جيوش الصليبيين وجيوش المسلمين وراسهم صلاح الدين التي قال فيها مؤرخو الصليبيين انها كانت في اوائل من تموز سنة ١١٨٧ م وكان جيش الافرنج مؤلفاً من الفي فارس وخمسين الف راجل اشتد بهم العطش لقلة الماء هناك وبحسب تاريخهم قبل الوقعة بيومين وهبت عليهم ريح شرقية وهي المعروفة بالخماسين فمن لم يسلم الروح

---

(١) ياقوت الحموي

ظفر اصحابها السيف وانهزم الكنت ريمند صاحب طرابلس واستولى صلاح الدين على الاكمة وقتل من ملوكهم صاحب الكرك رنودي شاتيون الذي كان غزا الحجاز واراد فتح الحرمين فنذر صلاح الدين ان هو ظفر به ان يقتله بيده وكذلك كان واستباحت سائر المواقع لارادة الجيش الصلاحي

وكان صلاح الدين قد نازل طبرية ونقب بعض ابراجها ونهب المدينة واحرقها فلما سمع الفرنج بذلك اجتمعوا للمشورة فاجمعوا على التقدم فركبوا واشتد القتال وصبر الفريقان[1] ورمى جاليشية المسلمين من النشاب ما كان كالجراد المنتشر والافرنج بقائهم سائرين نحو طبرية لعلهم يردون الماء فلما علم صلاح الدين مقصدهم صدهم عنه وكان بعض المتطوعة قد القى في تلك الارض نارًا وكان الحشيش كثيرًا فاحترق وكانت الريح لفحات حر النار والدخان اليهم فاجتمع عليهم العطش وحر الزمان وحر النار والدخان وحر القتال فلما انهزم القمص (الكنت) سقط في ايديهم وكادوا يستسلمون ثم علموا انهم لا ينجيهم من الموت الا الاقدام عليه فحملوا حملات متداركة كادوا يزيلون المسلمين على كثرتهم عن مواقفهم الا ان الفرنج لا يحملون حملة فيرجعون الا وقد قتل منهم فوهنوا لذلك وهنًا فارتفع من بقي منهم الى تل بناحية حطين وارادوا ان ينصبوا خيامهم هناك فاشتد القتال عليهم من سائر الجهات واخذ المسلمون صليبهم الاعظم الذي يسمونه صليب الصلبوت ويذكرون ان فيه قطعة من الخشب التي صلب عليها المسيح عليه السلام فيما يقول فكان اخذه من اعظم المصائب الى ان اسر المسلمون من نجا من حد السيف وفيهم الملك واخوه والبرنس ارناط (ارنولد) صاحب الكرك ولم يكن في الفرنج اشد منه عداوة للمسلمين واسروا ايضًا صاحب جبيل وابن هنفري ومقدم الداوية وكان من اعظم الفرنج شأنًا واسروا ايضًا جماعة من الداوية وجماعة من الاسبتارية (الاستبالية) وكثر القتل والاسر فيهم فكان من يرى القتلى لا يظن انهم اسروا واحدًا ومن يرى الاسرى لا يظن انهم قتلوا احدًا وما أصيب الفرنج منذ خرجوا الى الساحل وهو سنة احدى وتسعين واربعمائة الى الآن (٥٨٣) بمثل هذه الوقعة قال ابن الاثير : ولقد اجتزت بموضع الوقعة بعدها بنحو سنة فرأيت الارض ملأى من عظامهم تبين على البعد منها المجتمع بعضه على بعض ومنها المتفرق هذا سوى ما جحفته السيول واخذته السباع في تلك الآكام والوهاد

---

(١) الكامل لابن الاثير

واختلفت الروايات في مقدار عسكر صلاح الدين والصحيح على انه كان نحو جيش الصليبيين اي يزيد عن خمسين الف مقاتل (١) الا انه كان يزداد كل يوم حتى صار معه في طبرية ثمانون الف مقاتل واجتمع عسكر الصليبيين في الجليل في صحراء صفورية اولاً الى ان كانت هذه الوقعة التي لم [illegible] قائمة وسقطت مدن الجليل بيد الجيش الصلاحي واحدة بعد اخرى مثل عكا والناصرة وقيسارية وحيفا وصفورية ومعليا والشقيف والطور [illegible] القلاع المجاورة لها كما قال العماد الاصفهاني (٢) : "وكانت طبرية احسن قلعة واحصنها واملأها بالرجال والعدد وافسحها وهي الداوية حصن حصين ومكان مكين وركن ركين [illegible] منيع [illegible] ومصانع مشيدة ومواد مديدة وفيها [illegible] ومصانعهم ومقرهم ومضيفهم ومرابط خيولهم ومحرز ذودهم ومجرى سيولهم ومجمع خيولهم ومشرع [illegible] وموضع صليبهم ومورد جيشهم وقد جربتهم لما التقى يوم المصاف خرجوا [illegible] الى مصرعهم . والقى من ان الكفر لا يتمكن من صفو مشرعه فلما كسروا واسروا وحصروا وتحصنوا [illegible] الدولة بجدود [illegible] ولم يحتمل [illegible] السيوف المسلولة ولم يبق بها الا رعايا وتبع واتباع واشياع ضعاف فعدموا امكان حماية المكان ووجدوا انهم في الاستئمان [illegible] الى السكان وكانت فيه اطيار [illegible] وتقدس الاعلاق [illegible] من الميثاق وخرجوا [illegible] دخلوا في الاسلام لاحين بالسلامة راحين وتسلم جميع الاماكن في تلك الناحية من البلاد مثل [illegible] وحيفا وزرعين والطور [illegible] وبيسان والقيمون وجميع [illegible] وعكا من الولايات [illegible] ومعليا والمينة ومسكنه [illegible]"

هذه هي عاصمة الجليل وهذا طرف من تاريخها وعمرانها في القديم اما اليوم فحالها حال قرية حقيرة لا تكاد تجد فيها شجرة مع انها ذكرت قديماً بكثرة الاشجار الا ان النخيل التي كان كثيرها لا يتعداه الا نزراً يسيراً [illegible] يفقد من ارض الجليل [illegible] الا على سواحل البحر [illegible] طريق [illegible] مكدة [illegible] العجيبة بالاشجار [illegible] هواؤها وراق [illegible] منظرها واصبحت [illegible] في حد سواء [illegible] الاهالي [illegible] الا اخذ [illegible] النور

---

(١) تاريخ سورية [illegible] يوسف الدبس (٢) الفتح القسي في الفتح القدسي

(٣) [illegible]

قال لنا احد اصدقائنا من علماء دمشق في الاقتصاد والعمران: زرت طبرية منذ اثنتين وخمسين سنة وزرتها منذ سنتين فما اشد فرقي في عمرانها اذ رأيتها جامدة لم تتحرك ولولا فندق لاثالي ومستشفى للانكليز لرسمت الطبرية نفس تلك الصورة التي كانت في ذهني منذ نصف قرن وهو ما اشكوه من بطء بلادنا في نهوضها وعمرانها نجد القرى في هذه الحقبة من الزمن قد تغيرت صورتها وانبسطت رقعتها وحسنت ولو بعض الشيء بخلاف طبرية فهي الجمود بعينه ولم يزدها الا جالية من يهود الغرب نزلوها مهاجرين وكان المسكن الذي ينزله خمسة انفس يؤوي الآن عشرين فتضايق السكان وفسد الهواء واستحال الماء وافتقر اهل البلاد الاصليين لان لسان حال الاسرائيليين والصهيونيين خاصة مع جميع الشعوب كما قال ذلك السامري « لا مساس »

كان من حق الناصرة ان يسبق الكلام عليها لانها اليوم اعمر بلاد الجليل ومهبط النشأة ام النصرانية ولكنها بلد حديث بالنسبة لبلاد الجليل بدأ مجدها لانها كانت موطن مريم العذراء عليها السلام وفيها عاش المسيح الى الثلاثين من عمره ولم يرد لها ذكر في كلام قدماء المؤرخين ومعنى الناصرة الفرع او الزهرة وهي على ثلاثة عشر ميلاً من طبرية ممتدة على شكل نصف دائرة في سفح دائرة من الآكام العالية وبيوتها بيضاء نظيفة تحيط بها اشجار الزيتون والتين والصبار وبذلك تألف منها صورة مليحة لاتتعب العين من النظر اليها

قال رينان [1] : كانت الناصرة بلدة صغيرة واقعة في طية ارض منبسطة على متن بعض الجبال اما سكانها فانهم يبلغون اليوم اربعة آلاف نسمة [2] وكأنهم سكان الناصرة القديمة لان المؤرخ يوسيفوس يقول ان اصغر قرى الجليل كان عدد نفوسها خمسة آلاف نسمة وان كان هذا القول لا يخلو من مبالغة . والبرد في الناصرة شديد في زمن الشتاء ولكن الهواء جيد جداً وكانت الناصرة في ذلك الزمن شبيهة بكل قرى اليهود يومئذ اي انها كانت ، مؤلفة من منازل مبنية من غير هندسة ولا انتظام ومنظرها شبيه بمنظر القرى الاسيوية وربما لم تكن منازل الناصرة تختلف عن المنازل الحجرية المربعة القائمة في جهات لبنان العامرة والتي اذا اضيفت اليها اشجار الكرمة والتين المغروسة بجانبها كان لها منظر رائق .

---

[1] تاريخ المسيح تعريب فرح افندي انطون

[2] هذا في زمن رينان وقد ساح في سورية وفلسطين ولبنان بين سنتي ١٨٦٠ و١٨٦١ وسكان الناصرة اليوم عشرة آلاف

اما المكان الذي نبت فيه الناصرة فانه مكان شائق وليس في الدنيا كلها مكان افضل منه للتأمل في العبادة والراحة . ولا تزال هذه المدينة الى اليوم منظراً جميلاً . اما سكانها فهم قوم الفوا اللطف والبشاشة وجمال الوجوه والاردية حضراً . وقد وصف « انطونين مارتير » الناصرة في اواخر القرن السادس عشر فشبه ارضها بأرض الجنة من فرط خصبها . ولا يزال في غربي المدينة اودية خصيبة ينطبق عليها وصفه

اما العين التي كانت مركز الحركة في هذه المدينة وكان حولها السرور شاملاً فقد هدمت ولا يجري الآن من نبعها سوى ماء كنيسة واما جمال النساء الناصريات اللواتي يجتمعن حولها في المساء من ذلك الجمال الذي كان مشهوراً عنه في القرن السادس عشر فهبة الناصريات من مريم العذراء فانه لا يزال يترقرق في وجوههن وبذلك الشكل السوري الجميل في اتم حلته .

ولا شبهة في ان العذراء كانت تقف في صباها بين اولئك النساء حول العين وتملأ اناءها منها . وقد قال الطبيب مارتير ان نساء اليهود يكرمن المسيحيين في هذا المكان مع انهن يكرهنهم كرهاً شديداً في غيره . فكأن هواء وطن السيدة لطف اخلاقهن . واذا نظرت في البغض الذي وجدته في هذا المكان اختفى هذه في سائر الامكنة .

واما منظر الافق من المدينة فانه قصير ضيق ولكنك اذا صعدت الى الآكام المشرفة عليها انبسط امامك منظر جميل يسحر الالباب فانه من الجهة الغربية يظهر لك جبل الكرمل ممتداً الى البحر والخط الذي يفصله عن غيره من الجبال وبينها وادي الاردن وسهول طبريا المرتفعة . اما من جهة الشمال فانك ترى جبال صفد منحدرة نحو البحر وثمة تستتر عنك عكا وتظهر لك خليج حيفا .

هذا كان افق يسوع . هذا كان في صباه المنظر الذي امام عينيه . هذا هو مهد ملكوت الله ومهد الديانة المسيحية . فاذا [illegible] في مستقبل الزمان وصار اكثر احتراماً لاصول الدين واشد رغبة في استبدال الاماكن المقدسة المشكوك فيها باماكن حقيقية فما عليه الا ان يبني كنيسة على هذه الآكام التي كان يسوع يطلع عليها ويشاهد العالم منها . هناك يجب ان تقام الكنيسة الكبرى التي يجب ان يحج اليها المسيحيون من جميع اقطار العالم . هنالك حيث [illegible] الناصرة [illegible] يحق للفيلسوف ان يقف ويتأمل في مجرى حوادث العالم [illegible]

عما يصادفه الانسان في هذه الحياة من الفشل والخيبة في اعز ما يكون لديه ولكي يتحقق ان العالم سائر الى غرض الهي لا يصده شيء عنه مهما قام في سبيله من المصاعب والعثرات اه ٠

هذا ما وصف به فيلسوف الفرنسيس الناصرة بلد يسوع الناصري كما كان يقال له والتي منها اشتق اسم النصارى[١] وهو وصف ينطبق كل الانطباق على حالتها اليوم لا يماثله عقوق الغابر وكان اشبه تشبيه شاعر جاء قوله في مكان الناصرة انه « ليس في الدنيا كلها مكان افضل منه للتأمل في السعادة والراحة » وعلى مثل هذا القول يصح اطلاقه على جبال سورية عامة بل جبال الارض كافة فهي كلها تمنح الروح على التأمل لفراغ الذهن فيها من كدورات المدن وزحامه الاتعاس وما تقع عليه العيون من المناظر الشائنة في هذا الوجود الغريب وكيف كانت الحالة فالفيلسوف يعثر على مايلائم شأنه وتربيته التي قد يفقدها الانسان مهما نزع ربقة القيود والتقاليد ولكن هذا القول لايقدح في جمال هذا البلد الطيب واي بلاد تحبب لاهلها ٠

اما تاريخ الناصرة فهو تابع كلي لتاريخ الجليل بعد ان فتحها جيوش كسرى وملكو وثبور هذا الاقليم فكثر من عمرانه وتخريبه وقد قال بعض مؤرخي الافرنج ان التسامح الذي ابداه الملوك للمسيحيين ابدع منه ما ويلا حتى ان ويليبالد لما وصل الى الناصرة سنة ٧٢٥ م لم يجد فيها كنيسة قائمة ومع هذا ذكروا بانه كان فيها سنة ٨٠٨ ثمانية عشر راهباً

وتغلب الامبراطور يوحنا زيميسكيس على العرب واستولى على سورية وفلسطين واحتل طبرية عام ٩٧٥ وجبل تابور والناصرة ولكن ادخل عليه [illegible] السم فعادت الولايات التي افتتحها مستقلات في ايدي العرب ٠ وقد قال طابو ان تنكرد لما فوضت اليه مقاطعة التدبير لاد الجليل سنة ١١٠٠ كانت معاهد الناصرة قد خربها العرب ولم يبق الا بعضها فشاد الصليبيون بناءها واتخذوها كنيسة عامة لهم ٠ ولما فتحت ارض الجليل بيد صلاح الدين بعد وقعة حطين اخذت الناصرة ايضاً اليه [illegible] اهلها وفي خلال هذه العشر سنين المعودة بين الصليبيين وصاحب مصر في ٢ شباط ١٢٢٩ اصبح فريدريك الثاني امبراطور المانيا الحاكم المتحكم بالطريق من عكا الى الناصرة فرمم هذه المدينة على انها كانت قط حصناً منيعاً

---

(١) ياقوت في المعجم والمقريزي في الخطط

وفي شهر آذار ١٢٦٣ قدم من مصر في جيش هائل صاحبها الظاهر بيبرس البندقداري وعسكر في [illegible] وبعث [illegible] الناس مستهزئاً برجاله يخربون البيع والاديار واطلق الحرية للمسيحيين ان يدخلوا الاسلام ولكنهم ابوا ووقفت فيها [illegible] من [illegible] الاديار [illegible] واحاديث يقصونها عما لقيه المسيحيون والرهبان من الظلم الى القرن الخامس عشر [illegible] الظاهر عمر امير الجليل [illegible] في [illegible] من عيث البدو الذي وقع [illegible] الناصرة [illegible] دارم .

وتاريخ الناصرة هو في الجملة تاريخ الاديار والمعابد فيها وقد قوي سلطانهم منذ حاربها نابوليون وحاصر عكا سنة ١٧٩٩ وبعث باحد قواده فعسكر في الناصرة وانهالت الاحسانات على الاديار من امم النصرانية في الغرب على اختلاف لغاتهم ومذاهبهم وما منهم الا من انشأ فيها حتى بلغت اربع عشرة بيعة وكنيسة ومعظمها من فخامة البناء وحسن الرياش ما يذكر بقصور الملوك ومنازل المترفين [illegible] الرهبانات والراهبات في الناصرة [illegible] الآثار التاريخية فيها ويحكون انها اثر من آثار الكاثوليك في القرون الوسطى

وفي الناصرة [illegible] من المسيحيين يعلمون الذكور والاناث [illegible] القراءة [illegible] الاطفال من اي [illegible] في هذه [illegible] والمحمديون [illegible] من اهاليها من الجنسين اكثر من [illegible] في سورية [illegible] ابناء الآباء [illegible]

وقد اتصلت الناصرة اليوم بالسكة الحديدية مع حيفا [illegible] الاقل [illegible] حجاً الى القدس [illegible] من النصارى [illegible] الناصرة [illegible] وكان من ذلك [illegible] الى مدن [illegible] ويعيش طول سنه [illegible] في [illegible] من [illegible] عشرات الالوف من جمهور [illegible] المسيحيين .

« للبحث صلة »